المحاضرة الثالثة :

إلحاق النواسخ بالجملة الاسميّة1 (كان وأخواتها – وما يعمل عملها)

أ- معنى النّسخ والنّاسخ :

قد يدخل على الجملة الاسمية ألفاظٌ معيّنة تغير اسمي المبتدأ والخبر، وعلامة إعرابهما، وصدارة المبتدأ في الجملة، ومن هذه الألفاظ: (كان) (إنّ) (ظنّ) (كاد)... ولكلّ واحدة أخوات؛ والمراد بأخواتها : نظائرها في اللفظ والمعنى؛ سواء أكانت مع أختها من جنس واحد؛ كأن يكونا فعلان (كان، أضحى...)، أم كانتا من جنسين مختلفين؛ فإحداهما فعل مثل (ليس) والأخرى حرف مثل (ما) الحجازية التي تعمل عمل ليس.

وسُميت هذه الألفاظ (بالنّواسخ) لأنّها تُحدث نَسْخاً؛ أي تغييراً في وظيفة وموقع وإعراب المبتدأ والخبر؛ ففي مثل قولنا: -الطالبُ مجتهِدٌ -**كانَ** الطالبُ مجتهداً

نلاحظ في الجملة الأولى أنّ (الطالب) كان مبتدأ، ثمّ زال الابتداء أو نُسِخَ بدخول (كان) فصار اسماً لها، كما أنّ (مجتهداً) صار خبراً لكان في الجملة الثانية، بعد أن كان خبراً للمبتدأ في الجملة الأولى، كما أنّ اسم (كان) صار مرفوعاً بها ، بعد أنّ كان مرفوعا بالابتداء، أمّا الخبر (مجتهداً) فجاء منصوباً بالناسخ (كان).

ب-كان وأخواتها :

تُسمّى هذه الأفعال نواسخ المبتدأ والخبر ، وتُسمّى كذلك بالأفعال (**النّاقصة**)؛ لأنّه لا يتمّ معناها مع المرفوع بعدها إلاّ بذكر المنصوب (كانَ الولدُ...) ، بخلاف الأفعال التامة التي يتم الكلام معها بذكر المرفوع فقط (كتب الولدُ).

وهذه الأفعال هي ثلاثة عشر فعلاً؛ وهي: كان ، أمسى، أصبح ، أضحى ، ظلّ ، باتَ ، صار، ليس ، مازال، ماانفكّ، مافتئ ، مابرح ، مادام.

وهذه الأفعال إذا **اكتفت بمرفوعها** تكون **تامة** كسائر الأفعال اللازمة؛ ف"كان" تكون تامة إذا جاءت بمعنى حدث؛ مثل: تلبّدت السّماءُ فكان المطرُ، ومثل قول الشاعر:

إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ فَأَدْفِئُونِي فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهْدِمُهُ الشِّتَاءُ

أي: إذا حدث الشتاءُ ووقع. ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾[البقرة: 280]؛ ف(كان) تامة و(ذو) فاعل لها؛ لأنّ تأويل الكلام: إن حصل؛ أي وُجد بينكم معسر.

ومثله: (بات السّائحُ في الفندق) ؛ فإنّ (بات) يعني: قضى ليله في الفندق، وقد دلّ الفعل على زَمَن وحدث، وأمكن أن يكتفي بالفاعل بعده؛ فيقال: (بات السّائحُ).

ومثله في قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾[الروم: 17-18]؛ أي تدخلون في وقت المساء ووقت الصباح، ونلاحظ الفعل (تظهرون) في آخر الآية يعني: تدخلون في وقت الظهيرة، وهو لا يكون إلاّ تاما، وهو ما ينطبق على الفعلين (تمسون) (تصبحون).

ج- معاني وأحكام (كان) وأخواتها :

1-كـان : جُعِلت "كان" عنواناً لهذه المجموعة من الأفعال، وعُدّت أمّ الباب؛ لأنّها أكثرها دوراناً في الاستعمال؛ ولاختصاصها بأحكام ليست لغيرها.

و"كان" تُفيد اتّصاف الاسم بالخبر في الزّمن الماضي؛ فقولك: (كان المطرُ ينزل)؛ أي: المطر اتّصف بالنزول في زمن مضى. وقد تفيد "كان" معنى الدّوام والاستمرار؛ إذا وُجدت قرينة دالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[الأحزاب: 25]؛ ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴾[الإسراء: 11].

كما أنّها قد تُفيد الجزم بوقوع ما لم يقع؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[الإنسان: 22]؛ إذ إنّ ما هو كائن في علمه سبحانه هو في الجزم كمتحقّق الوقوع.

2- أمسى : تفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت المساء.

3- أصبح : تفيد اتصاف الاسم بالخبر في الصباح.

4- أضحى : تفيد اتصاف الاسم بالخبر في الضحى.

5- ظلّ: تفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت الظّل؛ أي: ما بين الضحوة والغروب.

6- بـاتَ : تفيد اتصاف الاسم بالخبر في وقت البيتوتة (الليل).

7- صـارَ : يُفيد التّحوّل من وصف إلى وصف.

8- ليس : يفيد نفي اتّصاف الاسم بالخبر في الحال؛ فقولك (ليس النّجاحُ مُحالاً) أي: الآن، ويجوز أن ينفي للاستقبال بقرينة دالة؛ كأن يُقال: ليس النّجاحُ مُحالاً في آخر العام[1].

9- ما زال ، 10- ما انفكّ ، 11-ما فتئ ، 12-ما برح

تفيد هذه الأفعال ملازمة اتّصاف الاسم بالخبر وفق مقتضى الحال؛ ففي مثل: (لايزال الرجل عالماً ما طلب العلمَ) أفاد الفعل (لايزال) ملازمة صفة العلم للرّجل مُدّة طلبه إيّاه.

ويشترط في هذه الأفعال النفي لفظاً؛ مثل: (ما زال الطّالبُ مجتهداً) ، أو معنىً؛ مثل: (قلّما يزال خالدٌ يعملُ)، أو الدّعاء؛ مثل: (لازلْتَ سالماً)، أو النّهي؛ مثل: (لا تزلْ ذاكرَ الموتَ)، أو الاستفهام الإنكاري؛ مثل: (هل يزال أخوك مُجتهِداً).

[1] - وقد يفيد (ليس) النفي الدائم إذا وُجدت قرينة؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾ [آل عمران: 36]؛

فلا يشترط أن يكون النّفي بـ"ما" خاصة؛ فقد جاء النّفي معها بـ"لا"، و"لن" و"ليس"؛ مثل" (لا يفتأ الجشعُ يطلب المالَ)، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[طه: 91].

والنّفي مع "فتئَ" و"برحَ" قد يكون محذوفاً مع القسم؛ مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: 85]؛ أي: لا تفتأُ، واسمه: ضمير مستتر تقديره (أنت)، وجملة (تذكر) هي الخبر.

13– ما دام : وهذا الفعل يُفيد استمرار اتّصاف الاسم بالخبر. ويشترط فيها أن يتقدّمها "ما" المصدرية الظرفية موصولة بها؛ مثل: (أحسِنْ ما دمتَ حياً) أي: مدّة دوامك حياً. ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[مريم: 31]؛ فـ"ما" في الآية تفيد أمرين: (المصدرية) لأنّها تؤوّل مع الفعل الذي بعدها بمصدر؛ أي: دوام، وتفيد (الظرفية) لأنّها تنوب عن ظرف الزّمان بمعنى "مدة"؛ والتقدير: مُدّة دوامِ حياتي.

د– أنواع "كان" وأخواتها:

كان وأخواتها ثلاثة أنواع :

الأوّل: ما لا يتصرّف مطلقاً؛ وهو (ليس) (مادام)؛ فيأتي منها الماضي فقط؛ مثل قوله تعالى:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[آل عمران: 113]؛ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ[1] السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾[هود: 107].

الثّاني: ما يتصرّف تصرّفاً ناقصاً ؛ وهو (ما زال، ما انفكّ، ما فتئ، ما برح) وهذه يأتي منها الماضي والمضارع فقط.

الثالث: ما يتصرّف تصرّفاً تاماً ؛ وهو السبعة الباقية (كان، أصبح، أضحى، أمسى، بات، ظلّ، صار)

وكلّ ما يتصرّف منها يعمل عمل ماضيها؛ سواءً أكان فعلاً، أو صفة (مشتقا)، أو مصدراً؛ مثل: (كونُك مهذباً خيرٌ لك). وقول الشاعر:

كُنْ ابنَ من شئت واكتسب أدباً يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ

وقول الآخر: ومَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْبَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ، إِذَا لَمْ تُلْفِهِ لَكَ مُنْجِدَا

هـ– أحكام اسم وخبر "كان" وأخواتها:

1– قد يكون خبرها جملة فعلية فعلها مضارع؛ مثل: (كان الولد يلعب حين صدمته السيارة)، وقد يأتي ماضياً مقترناً بـ"قَدْ"؛ مثل: (كان خالدُ قد انطلق). وقول الشاعر:

فأصبحوا قَدْ أعادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ إذْ هم قريشٌ وإذْ هم ما مثْلَهم بشَرُ

[1] - هنا (دامت) تامة وليست ناقصة، فالسموات: فاعل، ودامت بمعنى: بقيت.

وقد يرد الماضي مجرداً من "قد" وهو قليل؛ مثل قوله تعالى: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ [يوسف: 26]، وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾[المائدة: 116].

2– قد يتقدّم خبر "كان" على اسمها؛ مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 04].

3– يجوز أن يتقدّم الخبر على الفعل الناقص واسمه معاً (إلاّ "ليس" و"دام") ؛ فيقال: صافياً كان الجوُّ، وغزيراً أمسى المطرُ، وأين كنتَ؟

4– قد يأتي خبر "كان" وأخواتها محذوفاً متعلّق به شبه جملة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود: 07]؛ وقوله: ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة: 119]؛ وتقدير الخبر في الآية الأولى (مستقراً) أو (موجوداً) على الماء، وتقديره في الآية الثانية (مستقرّين) أو (موجودِين) مع الصّادقين، فهما من قبيل الخبر المفرد.

و– خصائص الفعل "كـان":

(كان) هي أمّ الباب وهي أكثر الأفعال النّاقصة تصرُّفاً ؛ ولها من الخصائص ما ليس لغيرها من الأفعال النّاسخة؛ فهي قد تُزاد، وقد تُحذَف، كما أنّه قد يحذف جزء من مضارعها وتبقى عاملة... وكلّ هذا يدلّ على أصالتها في بابها.

1– زيادة "كان":

تُزاد "كان" بين المتلازمين؛ ويُقصَد بالمتلازمين كلّ تركيب يتألف من طرفين لا ينفكّ أحدهما عن الآخر؛ مثل: (المبتدأ والخبر) (الصفة والموصوف) (الجار والمجرور) (الفعل وفاعله)... إلخ، وفائدة زيادتها توكيد المعنى وتقويته، وتكثر زيادتها بصورة الماضي وتقلّ بلفظ المضارع، وأشهر مواضع زيادتها هي:

–بين "ما" التّعجبية وفعل التعجب؛ مثل قولنا: ما كان أكرمَ حاتم الطّائي ، وما كان أطيب خلقَه، ومثل قول **أُمرئ القيس:** أرى أمَّ عمروٍ دمعُها قدْ تَحَدَّرا بُكاءً على عمرو وما كانَ أصبرا

ومثل قول الآخر: ما كانَ أَحسنَ فيكَ العيشَ مُؤْتَنِفًا غَضًّا وأطيبَ في آصالِكَ الأُصُلا

–بين المبتدأ وخبره؛ مثل: زيد كان قائمٌ، ومثل قول أبي أمامة الباهلي(رضي الله عنه): «يا نبيّ الله: أونبيٌّ كانَ آدمُ؟»، ومثله قول الشاعر:

ما كانَ ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتى وهو المغِيظُ المحْنَقُ

–بين الفعل والفاعل؛ مثل قول الشاعر: ولَبِسْتُ سِرْبالَ الشبابِ أزورها ولَنِعْمَ كانَ شَبيبةُ المحْتال

–بين الصفة والموصوف . نحو : التقيت بصديق كان مسافرٍ .

ومنه قول الشاعر : وماؤكم العذبُ الذي لو شربته شفاء لنفسٍ كان طالَ اعتلالُها

فجملة " طال اعتلالها " في محل جر صفة ، وقد جاءت (كان) زائدة لا عمل لها .

– بين الجار والمجرور ، كقول الشاعر : سراة بني أبي بكر تسامى على كان المسومةِ العرابِ

–بين الصلة والموصول؛ مثل: (جاء الذي كان أكرمته)، ومنه: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[مريم: 29].

أمّا عمل "كان" المزيدة فقد اختلف العلماء في عملها بعد زيادتها على قولين؛ الأوّل أنّ "كان" تامة؛ وهي رافعة لضمير مستتر، وتقدير الكلام: كان هو، أي: كان الكون. والقول الثاني ذهب إلى أنّها تامة ولا فاعل لها؛ لأنّ الفعل إذا استعمل استعمال ما لا يحتاج إلى فاعل استغني عنه، أي: عن الفعل، وفي هذا يقول **ابن يعيش** (ت643هـ): «واعلم أنّ "كان" في حال زيادتها لا اسم لها، ولا خبر، ولا فاعل؛ لأنّها ملغاة عن العمل، وهذا مذهب المحقّقين كابن السّراج وأبي علي»[1].

2– حذف "كان":

– يجوز حذف "كان" وحدها؛ وذلك بعد "أنْ" المصدرية كقول **العباس بن مرداس** (ت18هـ):

أبَا خُراشَةَ أمّا أنتَ ذَا نَفَر فإنَّ قَوميَ لَمْ تأكُلهُمُ الضَّبُعُ

وتقديره (إنْ كنتَ ذا نفَرٍ) فحذفت "كان" فانفصل الضمير فصار (إنْ أنتَ ذا نفر) ثمّ عُوض عن "كان" بـ(ما) فصار (إنْ ما أنت ذا نفر) ثمّ ادغمت (إن) و(ما) فصار (أمّا أنتَ ذا نفرٍ).

– ويجوز حذف "كان" مع اسمها إذا وقعت بعد (إنْ) و(لو) الشّرطيتين؛ كقول **النّعمان بن المنذر**:

قد قِيلَ ما قيل إنْ صدقاً وإنْ كذباً فما اعتذارُك من قولٍ إذا قيلاَ

والتّقدير (إنْ كان القولُ صدقاً وإنْ كان القول كذباً)، ومثله (النّاسُ مَجزيّون بأعمالهم إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرٌّ)؛ أي: إن إن كان عملُهم خيراً فجزاؤهم[2] خيرٌ، وإنْ كان عملُهم شراً فجزاؤهم شرّ.

ومثله قول رسول الله ﷺ: ((التمسْ ولو خاتماً من حديد))؛ أي: ولو كان الملتمسُ خاتماً من حديد.

ومثله قول العرب: (ألاَ طعام ولو تمراً)؛ أي: ولو كان الطعامُ تمراً.

– ويجوز حذف "كان" مع اسمها وخبرها ؛كأن يقال لك: (لا تقرَبْ من رجال العصابة فإنّك لن تسلمَ من أذاهم) فتجيب: سأقرَبُهم وإنْ. والتقدير سأقربهم وإن كان إيذاءٌ منهم، ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

قَالَتْ بَنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنّ كانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنّ

والتقدير: وإنْ كان فقيراً معدماً فإنّي أقبل به أو أتزوجه.

3– حذف نون المضارع من "كان":

يجوز حذف "نون" المضارع (يكن) ناقصة كانت أم تامة، ومن شواهد ذلك:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[مريم: 20].

[1] - شرح المفصل: 152/7. وتنظر الصفحات: 98/7-99، 150.

[2] - (جزاؤهم) مبتدأ محذوف.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: 40].

وقوله: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[المدثر: 43، 44].

ولهذا الحذف شروط؛ وهي: أن يكون الفعل مضارعاً، وأن يكون مجزوماً، وعلامة جزمه السكون، وألاّ يتصل به ضمير نصب[1] ، وألاّ يقع بعده حرف ساكن[2].

4- زيادة "الباء" في خبر "كان" و"ليس":

تزاد "الباء" في خبر "كان" و"ليس"؛ لتأكيد الكلام وتقويته، غير أنّ زيادتها في خبر "كان" قليل، وزيادتُها في خبر "ليس" كثير، ويُشترط لزيادة الباء في خبر "كان" سَبْقُ نفيٍ أو نهيٍ، ومن أمثل ذلك: (لا تكن بغافلٍ عن عبادة الله)، ومثل قول **الشنفرى** :

وَإِن مُدَّتِ الأَيدي إِلى الزادِ لَم أَكُنُ   بِأَعجَلِهِم إِذ أَجشَعُ القَومِ أَعجَلُ

أمّا زيادة "الباء" في خبر "ليس"؛ فشواهده كثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[التين: 08].

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾[الزمر: 37].

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[الزمر: 36].

وقوله: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾[الأنعام: 53].

ز- الأحرف المشبّهَة بـ"ليس":

الأصل أن يُقال في هذه الأحرف أنّها أحرف مشبّهة بـ"كان"؛ غير أنّها حُملَت على أقرب الأفعال الناسخة شبهاً بها؛ وهو "ليس"؛ لأنّها لا تشبه "كان" إلاّ في العمل، على حين تشبه "ليس" في المعمل والمعنى؛ فجميعُها مثل "ليس" تنفي اتصاف الاسم بالخبر للحال، إلاّ بقرينة تُفيد غير ذلك، وهذه الأحرف أربعة؛ هي:

(ما ، لا ، إنْ ، لاتَ)

1- مـا : وهي تعمل عمل "ليس" في لهجة الحجازيين؛ ولذا تسمى "ما" الحجازية، ولا تعمل شيئاً في لهجة بني تميم؛ وتُسمى حينئذ "ما" التميمية؛ فتقول: (ما زيدٌ قائماً) على لغة الحجازيين، وتعرب (ما) حرف نفي ناسخ مبني على السكون لا محل له من الإعراب، و(زيد) اسمها منصوب، و(قائماً) خبرها مرفوع.

وتقول: (ما زيدٌ قائمٌ) على لغة التميميين، وتعرب (ما) حرف نفي مهمل مبني على السكون لا محل له من

[1] - مثل ما جاء في حديث النبي ﷺ مُخاطباً عمر بن الخطاب في شأن ابن الصياد؛ وقد ظنّ أنّه المسيح الدّجال: ((إنْ يَكُنْهُ فلن تُسلّطَ عليه))؛ فلا يقال في مثل هذا: (إن يكُهُ)، ومنه قول أبي الأسود: فإن لا يكنها أو تكنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها

ينظر: الهمع: 107/2، وأوضح المسالك: 191/1، وشرح ابن عقيل: 300/1، والكتاب: 21/1، وارتشاف الضرب: 940، 1194.

[2] - وهو قليل، وقد أجاز يونس وابن مالك حذف نون المضارع وإن جاء بعده ساكن؛ ومن شواهدهم: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾[البينة: 01]؛ وقول الشاعر : إذا لم تك الحاجات من همة الفتى فليس بمغن عنك عقد التمائم

الإعراب، و(زيد) مبتدأ مرفوع، و(قائم) خبر مرفوع. وعلّة إهمالها في لغة بني تميم أنّها حرف غير مختصّ؛ يخل على الاسم كما يدخل على الفعل؛ فتقول: (ما المؤمن بكاذب) و(ما يكذب المؤمن)، ومن ثَمّ فإنّها عندهم لا تكونُ عاملة كسائرِ الحروف غير المختصة.

ومن شواهد "ما" الحجازية:

قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَراً ﴾[يوسف: 31]؛

وقوله: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ﴾[المجادلة: 02].

وقول الشاعر: وَمَا كُلُّ مَن يُبْدِي البَشَاشَةَ كَائِنًا أَخَاكَ إِذَا لَمْ تُلْفِهِ لَكَ مُنجِداً

ولكي تعمل (ما) الحجازية فيجب تَوفُّر مجموعة من الشّروط؛ أهمها:

1-1- أن يتأخّر خبرها عن اسمها؛ فلا يقال (ما قائماً زيدٌ) ؛ ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

وَمَا خُذَّلٌ قَوْمِي فَأَخْضَعَ لِلْعِدَا وَلَكِنْ إِذَا أَدْعُوهُمُ فَهُمُ هُمُ

ف(خذّل) خبر، و(قومي) مبتدأ.

1-2- ألاّ يُزاد بعدها "إنْ" ؛ مثل (ما إنْ زيدٌ قائمٌ)، ومن شواهد ذلك قول الشّاعر:

بَنِي غُدَانَةَ مَا إنْ أَنْتُمُ ذَهَبٌ ولا صَرِيفاً ولكِنْ أَنْتُمُ الخَزَفُ

ف(ما) نافية غير عاملة، و(إنْ) زائدة، و(أنتم ذهبٌ) مبتدأ وخبر.

1-3- ألاّ يقترن خبرها ب(إلاّ) لأنّها تنقض النّفي المستفاد منها؛ وتجعل معنى الجملة إثباتاً، مثل: (ما محمّدٌ إلاّ رسولٌ)، ولا يصح نصب (رسول). ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[يس: 15].

1-4- ألاّ يتقدّم معمول خبرها على اسمها؛ فلا يصحّ أن تقول: (ما كتاباً زيدٌ قارئاً) ، ويصحّ أن تقول: (ما زيدٌ قارئاً كتاباً)؛ لأنّ (كتاباً) مفعول به ل(قارئاً) وهي خبر (ما)؛ أي أنّ معمول الخبر مؤخّر.

أمّا إذا كان معمول الخبر شبه جملة جاز لك أن تقدّمه على اسمها؛ مع إعمالها أو إهمالها؛ فتقول: (ما للشرّ أنت ساعياً) ؛ ف(أنت) اسمها، و(ساعيا) خبرها، والجار والمجرور (للشر) متعلق بخبر (ما).

ويجوز لك أن تقول: (ما للشرّ أنت ساعٍ)؛ ونعرب: (ما) حرف نفي مهمل، و(أنت ساعٍ[1]) مبتدأ وخبر.

2- لا : وهي أيضاً حرفٌ يفيد النّفي[2]، ويعمل عمل (ليس) في لهجة الحجازيين وتهمل في لهجة التميميين، ولكي تكون عاملة يجب توفّر مجموعة من الشروط أهمها:

2-1-أن يكون اسمها وخبرها نكرتين[3]؛ مثل: لا طالبٌ أفضلَ منك، وقول الشاعر:

---

[1] - خبر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة، منع من ظهورها الثقل.

[2] - وتسمى (لا) أيضا "لا" النافية للوحدة.

[3] - وهو الغالب؛ لأنّه أجاز بعضهم إعمالها مع المعرفة، واحتجّ بقول النابغة الجعدي (ت50هـ):

وَحلَّت سَوَادَ القَلبِ لا أَنا باغِياً سِواها وَلا في حُبِّها مُتَراخِيا

وقول الآخر (مجهول): أنكرتها بعد أعوام مضين لها لا الدارُ داراً ولا الجيرانُ جيراناَ

وعليه قول المتنبي (ت354هـ): إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خَلاصاً من الأذَى فَلا الحَمدُ مكسوباً وَلا المالُ باقِيَا

تَعَزَّ فَلاَ شَيءٌ عَلَى الأَرْضِ بَاقِيا　　ولا وَزَرٌ مِمَّا قضى الله واقيا

2-2-أن يتأخّر خبرُها عن اسمها؛ فلا يصح قولك: لا مجتهِداً طالبٌ ؛ فإذا قدمت خبرها يلغى عملها ويأتي بعدها خبر ومبتدأ مرفوعان (لا مجتهدٌ طالبٌ).

2-3-ألاّ يقترن خبرها بـ (إلاّ)؛ لأنّها تنقض النّفي المستفاد منها؛ فلا يقال: (لا خيرٌ إلاّ مثمِراً).

2-4-لا يجوز تقديم معمول خبرها على اسمها؛ كي لا يفصلها عنه فاصل؛ فإذا قلت: (لا أحداً مؤمنٌ ظالماً) لم يصح؛ والصّواب أن تقول: (لا مؤمنٌ ظالماً أحداً). وإن كان معمول الخبر شبه جملة جاز لك إعمالها وإهمالها؛ كأن تقول: لا عندكَ خيرٌ ضائعاً (أو ضائعٌ).

-ملاحظة: قد يجيء خبر (لا) مجروراً بـ"الباء" الزائدة، مثل ما جاء في قول سواد بن قارب الصحابي:

فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لاَ ذُو شَفَاعَةٍ　　سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبِ

بمغنٍ : الباء حرف جر زائد، مُغنٍ: خبر "لا" منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدّرة على الياء المحذوفة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)؛ لأنّ (مغن) اسم فاعل.

3-"إنْ" النّافية :

وهي أيضاً حرفٌ يُفيد النّفي، وتعمل عمل ليس في لغة أو لهجة أهل العالية، ومثال ذلك: (إنْ الذهبُ رخيصاً) بمعنى: ما الذهبُ رخيصاً، ويجوز عدم إعمالها؛ فنقول: (إنْ الذهبُ رخيصٌ) مبتدأ وخبر. وهي في كلا الحالتين لنفي معنى الخبر في الزّمن الحالي عند الإطلاق، كما أنّها تعمل في المعرفة والنكرة على حد السواء؛ فنقول: (إنْ زيدٌ قائماً)؛ أي ما زيدٌ قائماً.

ومن شواهد إعمالها قول الشاعر: إنِ المرءُ مَيْتًا بانقضاء حياته　　ولكن بأنْ يُبغى عليه فيُخذلا

وقول الآخر: إنْ هو مستولياً على أحدٍ　　إلاّ على أضعفِ المجانين

ولإعمالها شروط هي:

3-1-الترتيب؛ فيذكر اسمها أوّلاً ثمّ خبرها.

3-2-ألاّ ينتقضَ النّفي بعدها بـ"إلاّ"؛ وإلاّ بطل عملها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: 31]. فـ(هذا) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، و(ملك) خبر مرفوع.

4- لاتَ :

وهي لنفي معنى الخبر في الزّمن الحالي عند الإطلاق، وهي -عند الجمهور[1]- تعمل عمل "ليس"؛ فترفع اسما لها وتنصب خبراً؛ مثل: (تندمُ الآنَ ولاتَ حينَ مندم)؛ والمعنى: (تندم الآن وليس الحينُ حينَ مندمٍ).

ومن شواهدها في القرآن الكريم نجد: قوله تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾

[1] - أمّا الأخفش فيرى أنّها لا تعمل شيئا.

[ص: 03]؛ والتقدير: ولاتَ الحينُ حينَ مناصٍ.

ويشترط لعملها:

1-4-الشّروط الخاصة بعمل (ما) إلاّ الشرط الخاص بعدم وقوع (إنْ) الزائدة بعدها؛ إذ لا تقع (إنْ) الزّائدة بعد (لات).

2-4-أن يكون اسمها وخبرها كلمتين دالتين على الزّمان.

3-4-أن يحذف أحدهما (اسمها أو خبرها) دائما؛ والغالب أنّه الاسم.

4-4-أن يكون المذكور منهما نكرة؛ مثل: (تسرعتَ في الإجابة، ولاتَ حينَ تسرُّعٍ)؛ أي: وليس الحينُ حينَ تسرُّعٍ، وإعرابها: (لاتَ): نافية تعمل عمل "ليس"، والتاء للتأنيث، واسمها محذوف؛ تقديره: الحينُ أو الوقتُ أو الزّمنُ، (حينَ): خبر "لاتَ" منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة وهو مضاف، (تسرّعٍ) مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة على آخره.

5-4-أنّها لا تعمل في غير "الحين"؛ وهو ظاهر قول سيبويه (ت180هـ) والفراء (ت207هـ)، وذهب بعضهم (وهم: الفارسي "ت377هـ"، وابن مالك "ت762هـ")[1]، أنّها تعمل –كذلك- في مرافات (الحين) كـ(ساعة) و(أوان)، ومن شواهدهم قول الشاعر:

نَدِمَ البُغاة ولاتَ ساعةَ مَنْدَم   والبغيُ مَرْتَعُ مُبْتَغيهِ وخيمُ

[1] - ينظر: الارتشاف: 1211، وشرح الكافية الشافية: 443.